

بسم الله الرحمن الرحيم

الأمن النفسي في القرآن الكريم وأثره على فكر الإنسان

بحث مقدم للمؤتمر الوطني الأول للأمن الفكري

«المفاهيم والتحديات»

في الفترة من ٢٢-٢٥ جماد الأول ١٤٣٠ هـ

كرسي الأمير نايف بن عبد العزيز لدراسات

الأمن الفكري بجامعة الملك سعود

د. عبد الله بن محمد الجيوسي

كلية الشريعة والدراسات الإسلامية

جامعة اليرموك - الأردن

- ولو تساءلنا عن الأثر الذي يحدثه الإيمان في النفوس فإن هذا يحتاج إلى بسط كبير لا يتسع المقام لذكره ، لكن يمكن إجمال بعض ما يتصل بتحقيق الأمن النفسي مباشرة في الآتي:
- ١- يزيد من ثقة الإنسان بنفسه .
 - ٢- يزيد من قدرته على الصبر وتحمل مشاق الحياة.
 - ٣- يبعث الأمن والطمأنينة في النفس، ويغمر الإنسان الشعور بالسعادة

مستويات الأمن

أما مستويات الأمن الذي يحققه الإيمان للإنسان فهو في شتى المجالات: فهناك الأمن النفسي والأمن الفكري والأمن الاجتماعي والأمن الاقتصادي والأمن العسكري والأمن الغذائي. ولا شك أن أهم هذه المستويات لدى الإنسان هو الأمن النفسي، ولا يخفى أن هذه جميعا تتكامل لتحقيق مفهوم الأمن الكلي، وبين هذه الأنواع نجد الأمن الفكري وهو الذي يسهم في تحقيق الأمن النفسي، بمعنى أن سلامة الفكر مقدمة لتحقيق الأمن النفسي. والإنسان منذ أن عرف الحياة بدأ ينشد الأمن النفسي من خلال البحث في موجودات الحياة سعيا لتلبية متطلبات حياته، فهو في سبيل الحصول على الأمن النفسي يحب ويكره، ويكد ويتعب.¹² ربما يكون من أشهر علماء النفس الذين تحدثوا عن مستويات الأمن النفسي من علماء النفس في العصر الحديث ماسلو (maslow) حيث ذكر مستويات لهذا الأمن النفسي، فهناك مستوى الإحساس بالأمن ومستوى عدم الإحساس به¹³، وكان ربط وجود الأمن بالحاجات التي تتطلبها النفس ضمن ما سمي بنظرية الحاجات¹⁴ والإحساس بالأمن من المتطلبات الأساسية للصحة النفسية التي يحتاج إليها الإنسان كي يكون إيجابيا

¹² للمزيد انظر: الأمن النفسي وعلاقته بالتحصيل لدى طلاب رعاية الأيتام بالرياض، وهي رسالة جامعية قدمت لكلية الدراسات العليا / بأكاديمية الأمير نايف العربية للعلوم الأمنية، من الباحث: عبد الله حميد حمدان السهلي، غير مطبوعة، ص ٣٤.

¹³ للمزيد انظر درجة تحقق حالة الإحساس بالأمن لدى أعضاء هيئة التدريس في الجامعات الأردنية الرسمية ، فؤاد مصطفى حمد السلطان، وهي رسالة جامعية قدمت في الجامعة الأردنية لكلية التربية، ماجستير، عام ١٩٩٥م، غير مطبوعة، ص ٥-٧. وانظر مستويات الأمن النفسي لدى الشباب الجامعي بحث ميداني عبر حضاري مقارنة - د/ على سعد - ص ١٦

ومتزنا ومنتجا.

لكن لماذا الأمن النفسي؟

يحقق الأمن النفسي للمرء عدة نُجمل بعضها في الآتي مركزين منها على ما يتصل بالفوائد المتصلة بفكر الإنسان:

١ - تحقيق مبدأ الثبات والاستقرار وينشأ عنه عمق في التفكير، لأن المرء حينما يتحصل له الأمن النفسي ينطلق بفكره نحو التقدم، وهذا ما يترجم لنا سمو التفكير الذي كان عليه المسلمون بعد ان تحقق لديهم الإيمان، فقد قدموا لنا نموذجاً راقياً في التفكير امتزجت فيه حقائق الواقع في الحياة الدنيا بطموح المستقبل المتصل بالمصير يوم القيامة، وكثيراً ما كانت تتصل الدنيا بالآخرة في أفكارهم، بل لقد كانت تمر بهم لحظات تختلط حقائق الآخرة معهم بمشاهدات الواقع، وتمر بهم لحظات يحسون خلالها أن مشاهد الواقع تحول أحياناً دون العيش في خيال المستقبل، وهذا ما يترجم لنا مقولة أحد الصحابة - رضي الله عنه - في إحدى الغزوات: "وأخرج ثمرات فجعل يأكل منهن، ثم ألقى بقيتتهن من يده، وقال: لئن أنا حييت حتى آكلهن إنها حياة طويلة! ثم تقدم فقاتل حتى قتل، رضي الله عنه"¹⁵.

٢ - حفظ النفس من اليأس والقنوط، فكلما تناقص الأمن لدى النفس انشغلت بضده وتسرب إليها التفكير الذي يفضي بها إلى اليأس وينتهي بها الحال إلى القنوط، وتتعاظم لديها السلبية، والتفكير في كراهية الآخرين وحب الانتقام، وهذا ما يجعلنا نفهم كيف تفكر بعض العقول، وإلى أي حد ينتهي بها التفكير.

أما عن نتائج انعدام الأمن النفسي فيكفي أن نقول بأن النفس التي تفتقد الأمن تعيش حالة من الاضطراب في السلوك والفكر والوجدان والمشاعر والأحاسيس، ويستطيع الآخرون ملاحظة هذه التغيرات في حالة الشخصية.

وقد تتطور المسألة ليحل محل الاستقرار حالة الضغط النفسي، ونعني به ما يصيب الشخصية من مؤثرات تسهم في تغيير حالة الفرد، وقد عرفها بعضهم بأنها ظاهرة إنسانية ينشأ عنها خيرة سيئة ومؤلة تؤثر على عملية التكلف لدى الفرد¹⁶. ويسوي بعضهم بين مصطلح القلق ومصطلح الضغط النفسي

¹⁵ هو الصحابي الجليل، عمير بن الحمام، والحديث رواه مسلم في صحيحه برقم (١٩٠١) من حديث أنس، رضي الله عنه.

¹⁶ انظر: مستوى ومصادر الضغط النفسي لدى طلبة السنة الأولى والثانية في كليات المجتمع الخاصة في عمان والزرقاء، نبيل محمد رجا الحسن، رسالة ماجستير في كلية التربية في الجامعة الأردنية نوقشت عام ١٩٩٥/ ص ٣.

لكن بالجملة نجد أن القلق علامة من العلامات الدالة على حالة الاضطراب النفسي وترتبط بهذه الحالة حالات أخرى متصلة بالانفعالات والتكيف.

وحين تصل النفس إلى هذه الحالة نجد أنها بلا شك قد مرت بمراحل منها:

١- مرحلة التحذير أو الصدمة. يستعد المرء نتيجتها لمواجهة هذه التهديدات والأخطار

٢- مرحلة المقاومة حيث يستخدم المرء فيها طاقته المخزونة للتخلص من مصادر الضغوط النفسية.

٣- مرحلة الإنهاك: حيث تتضاءل قدرة الفرد في التغلب على مصادر هذه الضغوط وقد يفضي الاستسلام لهذه الحالة مع انعدام الإيمان إلى حالة من الإحباط والتفكير في الانتحار أو ما يشبهه^{١٧}

وقد يلحق بما تقدم ما بحثه بعض علماء النفس ضمن ما يسمى ب(الاحتراق النفسي) الذي هو عبارة عن حالة من الإنهاك تحدث نتيجة للإعياء والمتطلبات الزائدة والمستمرة الملقاة على الفرد^{١٨}

مرتكزات الأمن النفسي

توجد عوامل عدة تسهم في تحقيق الأمن النفسي، نجملها في الآتي مرتبين إياها حسب الأهمية

١ - الفكر

الاستقرار الفكري دعامة أساسية لتحقيق الأمن النفسي:

يقيم القرآن وزنا كبيرا لفكر الإنسان ووجدانه، وينطلق من واقع الاعتراف بهذه الازدواجية للإنسان، فهو (أي الإنسان مكون من جسم وعقل وروح) ولا يمكن للإنسان ان تتحقق له معالم الاستقرار إلا إذا عاش حالة من التوازن بين هذه الأقسام، ولا يمكن للإنسان أن يكون سويًا في سلوكه إلا إذا حافظ على هذا التوازن بين متطلبات النفس الإنسانية.

ولهذا وجدنا نصوص القرآن توازن في خطاباتها بين هذه العناصر، فتارة تخاطب العقل، وتسوق له الأدلة وتقتعه بالحجة والبرهان، وأخرى تخاطب فيه المشاعر والأحاسيس وتبرز الجوانب الوجدانية وفي هذا وذاك تمتاز النصوص لتزود الروح بما تنشده من حقائق تحقق للروح توازنها، فتكتمل للإنسان صورته التي إن عاش بينها أحس بمعالم الإنسانية ومعاني الاستقرار، واستطاع أن يسير خطوة إلى الأمام ليحقق

¹⁷ المرجع نفسه ص ١٠-١٢.

¹⁸ الطحaine، زياد لطفى سليمان: مستويات الاحتراق النفسي لدى معلمي التربية الرياضية في الأردن وعلاقتها ببعض المتغيرات، رسالة ماجستير أعدت في كلية التربية في الجامعة الأردنية ١٩٩٥ م، ص ٨.

دعائم الاستقرار.

والتفكير عملية ذهنية عميقة تشترك فيه أنشطة الإنسان النفسية الروحية والمعرفية والعاطفية تبني على مقدمات حسية أو عقلية^{١٩}.

والإسلام لم يحجر على العقل في ميدان التفكير، فقد أعطى له كامل الحرية، ولعل في قوله تعالى: **﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهُ ﴾** ... **﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهُ ﴾** ما يؤكد هذه الحرية، وقد أبقى لمن خالفه مساحة واسعة تستوعب كل من أراد العيش في ظل الإسلام، وفوق هذا نجد الإسلام لم يمارس قمع المشاعر والأحاسيس، بل كان يدفع بها إلى الانطلاق ويوجهها لتكون في جانب النفع والمصلحة على المستويين الفردي والجماعي.

٢- الصحة البدنية: إلى جانب الفكر السليم هناك الجسم السليم، فالإنسان لا يمكن أن ينتج فكراً سليماً إذا كان يفتقد صحة الجسم، ومن هنا وجدنا الإسلام يوجه الفرد إلى الاهتمام بالصحة البدنية وأرشد الفرد إلى ما يضمن له العيش ضمن هذه الصحة، وكفل له بما أباح من المأكولات والمشروبات وما حرم أن يكون اعتبار العقل هو الأصل، وما ليس فيه ضرر على الصحة، كما قال القرطبي: "ما التذة آكله وشاربه ولم يكن عليه فيه ضرر في الدنيا ولا في الآخرة"^{٢٠} ولعل تقييد المباحات في كونها من الطيبات، والمحرمات بالخبائث كما في قوله تعالى: **﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهُ ﴾** ، وقوله: **﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهُ ﴾** ، وهو ما أشار إليه بعض المفسرين من بيان معنى الطيبات^{٢١}

وقد حرص الإسلام على تزويد المرء بالتوجيهات التي تحافظ على الصحة في مجال الأكل والشرب^{٢٢}، ومن ذلك: النهي عن الشرب في حالات معينة، كالنهي عن الشرب قائماً، كما في الحديث المروي عن أنس: "أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زَجَرَ عَنِ الشُّرْبِ قَائِمًا"^{٢٣}، وفي هيئات معينة كالشرب من فم السقاء، كما في حديث أبي هريرة: "نَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الشُّرْبِ مِنْ فَمِ"

¹⁹ الدغامين، زياد، منهج القرآن الكريم في صياغة تفكير الإنسان، مجلة دراسات (علوم الشريعة والقانون) الجامعة الأردنية مج ٣٢ / ع ١، ٢٠٠٥م / ص ٢١٠.

²⁰ القرطبي: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح، الجامع لأحكام القرآن، بيروت- دار إحياء التراث العربي، ج ٦ ص ٦٤

²¹ انظر مثلاً أبو بكر الجصاص، أحمد بن علي الرازي: أحكام القرآن، تح محمد الصادق قمحاوي، بيروت- دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٥هـ، ج ١ ص ٣٣.

²² للمزيد انظر: الجبوسي، عبد الله: البناء النفسي للمسلم في ضوء السنة النبوية، بحث منشور في مجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية- جامعة قطر، ع ٢٥ - ٢٠٠٨م.

²³ رواه مسلم، الصحيح، باب كراهية الشرب قائماً. ح (٣٨٨٦).

نجاحه كان الإغراء بأنواعه (بالمال والجاه)، ﴿ ٤ ٥ ٦ ٧ ٨ ٩ ١٠ ١١ ١٢ ١٣ ١٤ ﴾ الأعراف: ١١٣ ، ١١٤ .

وتأمل حالهم بعد التغير الذي طرأ على فكرهم... وتأمل كيف دخل حيز التنفيذ، وكيف سخروا كل ما لديهم من مشاعر وأفكار وسلوكيات ليعبروا فيها عن هذا التغير:

§ فالسجود علامة التغير في السلوك. ﴿ ١ ٢ ٣ ٤ ٥ ٦ ٧ ٨ ٩ ١٠ ١١ ١٢ ١٣ ١٤ ١٥ ١٦ ١٧ ١٨ ١٩ ٢٠ ﴾ الأعراف: ١٢٠ .

§ والكلام علامة التغير في الفكر ﴿ ١ ٢ ٣ ٤ ٥ ٦ ٧ ٨ ٩ ١٠ ١١ ١٢ ١٣ ١٤ ١٥ ١٦ ١٧ ١٨ ١٩ ٢٠ ٢١ ٢٢ ٢٣ ﴾ طه: ٧٣ .

§ والرضا بما سيؤول إليه حالهم بعد التهديد علامة التغير في الوجدان ﴿ ١ ٢ ٣ ٤ ٥ ٦ ٧ ٨ ٩ ١٠ ١١ ١٢ ١٣ ١٤ ١٥ ١٦ ١٧ ١٨ ١٩ ٢٠ ٢١ ٢٢ ٢٣ ٢٤ ٢٥ ٢٦ ٢٧ ٢٨ ٢٩ ٣٠ ٣١ ٣٢ ٣٣ ٣٤ ٣٥ ٣٦ ٣٧ ٣٨ ٣٩ ٤٠ ٤١ ٤٢ ٤٣ ٤٤ ٤٥ ٤٦ ٤٧ ٤٨ ٤٩ ٥٠ ٥١ ٥٢ ٥٣ ٥٤ ٥٥ ٥٦ ٥٧ ٥٨ ٥٩ ٦٠ ٦١ ٦٢ ٦٣ ٦٤ ٦٥ ٦٦ ٦٧ ٦٨ ٦٩ ٧٠ ٧١ ٧٢ ٧٣ ٧٤ ٧٥ ٧٦ ٧٧ ٧٨ ٧٩ ٨٠ ٨١ ٨٢ ٨٣ ٨٤ ٨٥ ٨٦ ٨٧ ٨٨ ٨٩ ٩٠ ٩١ ٩٢ ٩٣ ٩٤ ٩٥ ٩٦ ٩٧ ٩٨ ٩٩ ١٠٠ ﴾ طه: ٧٢ وتنوعت مشاهد القصص عبر القرون تقص علينا من أخبار من سبق وترسم لنا بالواقع كيف يمكن لهذا الفكر - إن تغير - أن يحقق ذلك التغير في السلوك والمشاعر والوجدان.

وفي القرآن نماذج كانت تحمل أفكارا تدافع عنها بما أوتيت، ثم لما حصل لها التغير في الفكر لمسنا ذلك التغير في السلوك، وقد يصلح مثلا لهذا موقف نسوة المدينة وامرأة العزيز:

○ تأمل كيف عاب النسوة أولا على امرأة العزيز صنيعها، وحدثنا القرآن عن ذلك ﴿ ١ ٢ ٣ ٤ ٥ ٦ ٧ ٨ ٩ ١٠ ١١ ١٢ ١٣ ١٤ ١٥ ١٦ ١٧ ١٨ ١٩ ٢٠ ٢١ ٢٢ ٢٣ ٢٤ ٢٥ ٢٦ ٢٧ ٢٨ ٢٩ ٣٠ ٣١ ٣٢ ٣٣ ٣٤ ٣٥ ٣٦ ٣٧ ٣٨ ٣٩ ٤٠ ٤١ ٤٢ ٤٣ ٤٤ ٤٥ ٤٦ ٤٧ ٤٨ ٤٩ ٥٠ ٥١ ٥٢ ٥٣ ٥٤ ٥٥ ٥٦ ٥٧ ٥٨ ٥٩ ٦٠ ٦١ ٦٢ ٦٣ ٦٤ ٦٥ ٦٦ ٦٧ ٦٨ ٦٩ ٧٠ ٧١ ٧٢ ٧٣ ٧٤ ٧٥ ٧٦ ٧٧ ٧٨ ٧٩ ٨٠ ٨١ ٨٢ ٨٣ ٨٤ ٨٥ ٨٦ ٨٧ ٨٨ ٨٩ ٩٠ ٩١ ٩٢ ٩٣ ٩٤ ٩٥ ٩٦ ٩٧ ٩٨ ٩٩ ١٠٠ ﴾ يوسف: ٣١ - ٣٢

فقد صارت الرذيلة في أذهانهم فضيلة وانقلب ما كان معييا بالأمس ليكون مطلب اليوم ، وما ذلك إلا نتيجة لتغير الفكرة في أذهانهم، وبهذا نستطيع أن ندرك أسرار التحول في السلوك تبعا للفكر.

○ ولعل في قصة الثلاثة الذين خلفوا عن غزوة تبوك ما يشير إلى تغير السلوك نتيجة تغير الفعل، ففيما قصه الله علينا من أخبارهم ما يشير إلى افتقادهم إلى مسألة الأمن، والأمن الذي كانوا ينشدونه، من طرف المجتمع فهو أمن نفسي، حتى أضحوا ينظرون إلى هذه الدنيا رغم اتساعها إلى أنها ضيقة بهم، وما ذلك إلا لأن النبي -صلى الله عليه وسلم- وأصحابه هجروا الحديث معهم، فكانت عزلة الكلام معهم ، ولم تتطور إلى عزلة الخلطة، ومع هذا نجد التعبير القرآني ينقل لنا ما كان عليه حالهم حينما افتقدوا نعمة الأمن، ولنا أن تأمل التعبير القرآني في ذلك، قال سبحانه: ﴿ ١ ٢ ٣ ٤ ٥ ٦ ٧ ٨ ٩ ١٠ ١١ ١٢ ١٣ ١٤ ١٥ ١٦ ١٧ ١٨ ١٩ ٢٠ ٢١ ٢٢ ٢٣ ٢٤ ٢٥ ٢٦ ٢٧ ٢٨ ٢٩ ٣٠ ٣١ ٣٢ ٣٣ ٣٤ ٣٥ ٣٦ ٣٧ ٣٨ ٣٩ ٤٠ ٤١ ٤٢ ٤٣ ٤٤ ٤٥ ٤٦ ٤٧ ٤٨ ٤٩ ٥٠ ٥١ ٥٢ ٥٣ ٥٤ ٥٥ ٥٦ ٥٧ ٥٨ ٥٩ ٦٠ ٦١ ٦٢ ٦٣ ٦٤ ٦٥ ٦٦ ٦٧ ٦٨ ٦٩ ٧٠ ٧١ ٧٢ ٧٣ ٧٤ ٧٥ ٧٦ ٧٧ ٧٨ ٧٩ ٨٠ ٨١ ٨٢ ٨٣ ٨٤ ٨٥ ٨٦ ٨٧ ٨٨ ٨٩ ٩٠ ٩١ ٩٢ ٩٣ ٩٤ ٩٥ ٩٦ ٩٧ ٩٨ ٩٩ ١٠٠ ﴾ التوبة: ١١٨ .

ولو تأملنا ما آل إليه تفكيرهم لحظتها لأدركنا أن النفوس كادت تنهار لولا عصمة الإيمان التي كانت موجودة قبل، وهذا ما يؤكد دور الإيمان في تحقيق الأمن النفسي.

ومن المواقف التي عرض لها القرآن وفيها ما يشير إلى أثر الأمن النفسي على السلوك والمشاعر والأحاسيس، ما قصه الله علينا من تغشية النعاس على المؤمنين يوم بدر، فالمعروف أن النفوس القلقة لا يأتيها النوم إلا بشق الأنفس، وأما النفوس التي هي في ميدان القتال فيكفي أن يكون القتال والحال مدعاة للحضور والانتباه واليقظة، لكن فيما قصه الله تعالى علينا من تغشية النعاس عليهم ما يدل صراحة على درجة الطمأنينة والسكينة التي كانوا عليها، وهو ما سجله القرآن بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلْ أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبُطْءِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بِالْوَبْخِ وَالْوَبْخُ يَصُدُّ عَنِ السَّبِيلِ وَأَنْتُمْ لَا تَذَكَّرُونَ﴾ (البقرة: ٢٦٤) وقوله ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبُطْءِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بِالْوَبْخِ وَالْوَبْخُ يَصُدُّ عَنِ السَّبِيلِ وَأَنْتُمْ لَا تَذَكَّرُونَ﴾ (البقرة: ٢٦٤) ﴿الأنفال: ١٠﴾

وفي هذا يقول سيد قطب: أما قصة النعاس الذي غشي المسلمين قبل المعركة فهي قصة حالة نفسية عجيبة ، لا تكون إلا بأمر الله وقدره وتدييره . . لقد فزع المسلمون وهم يرون أنفسهم قلة في مواجهة خطر لم يحسبوا حسابه ولم يتخذوا له عدته . . فإذا النعاس يغشاهم ، ثم يصحون منه والسكينة تغمر نفوسهم؛ والطمأنينة تفيض على قلوبهم (وهكذا كان يوم أحد . . تكرر الفزع ، وتكرر النعاس ، وتكررت الطمأنينة^{٢٨} .

ويتكرر المشهد في أحد حين تكون النفوس مجهددة، والقلق يلفها مما أصابهم، فيترن قولته تعالى في وصف النعاس وكونه مصدرا للراحة النفسية وجلبه للطمأنينة، قال سبحانه: ﴿أَمْ يَرْجُونَ أَنْ يَأْتِيَهُمُ الْغِيَابُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِمْ﴾ (البقرة: ٢٦٤) ﴿آل عمران: ١٥٤﴾

وفي قصة أهل الكهف ما يجسد هذا أيضا حين قال ﴿لِئَلَّا نُبَيِّنَ لَهُمْ آيَاتِنَا فَهَلْ يَنْظُرُونَ﴾ (الكهف: ١١) وفي هذا يقول سيد - أيضا - : "فهؤلاء الفتية الذين يعتزلون قومهم ، ويهجرون ديارهم ، ويفارقون أهلهم . ويتجردون من زينة الأرض ومتاع الحياة . وهؤلاء الذين يأوون إلى الكهف الضيق الخشن المظلم . هؤلاء يستروحون رحمة الله . ويحسون هذه الرحمة ظليلة فسيحة ممتدة . ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبُطْءِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بِالْوَبْخِ وَالْوَبْخُ يَصُدُّ عَنِ السَّبِيلِ وَأَنْتُمْ لَا تَذَكَّرُونَ﴾ (البقرة: ٢٦٤) ﴿الكهف: ١٦﴾ ولفظة { ينشر } تلقي ظلال السعة والبحبوحة والانفساح . فإذا الكهف فضاء فسيح رحيب وسيع تنتشر فيه الرحمة وتتسع خيوطها وتمتد ظلالها ، وتشملهم بالرفق واللين والرخاء . . إن الحدود الضيقة لتزاح ، وإن الجدران الصلدة لترق ، وإن الوحشة

28 قطب، سيد، في ظلال القرآن ، بيروت- دار الشروق، ج:٣، ٣٧٢.

الموغلة لتشف ، فإذا الرحمة والرفق والراحة والارتفاق.

إنه الإيمان . وما قيمة الظواهر؟ وما قيمة القيم والأوضاع والمدلولات التي تعارف عليها الناس في حياتهم الأرضية؟ إن هنالك عالماً آخر في جنبات القلب المغمور بالإيمان ، المأنوس بالرحمن . عالماً تظلمه الرحمة والرفق والاطمئنان والرضوان²⁹ .

مقومات الأمن النفسي

هذا المبحث يأتي بعد استعراض بعض المواقف التي قصها الله علينا ، وكنا قد سقناها لندلل على دور الأمن في تقويم الفكر لدى الإنسان ، وأثر الاستقرار في حياة الإنسان على فكره، ويمكن إجمال المقومات التي تجلب الأمن للنفس في الآتي:

العقيدة الصحيحة: فهي التي تزود النفس بالإيمان، فالإيمان يزود المرء بالتفكير السليم النقي ويخلصه مما قد يحجر على العقل أو يمنعه من الانطلاق، وفي سبيل ذلك:

١- وجدنا التوجيهات تنتقد المرء الذي ينحى إلى التقليد الأعمى دون إعمال الفكر والتمسك بموروثات الآباء والأجداد، من ذلك قوله تعالى: ﴿ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا هٰذِهِمْ سِوَىٰ مَا أَنزَلَ عَلَىٰ سِوَىٰ مَا يَدْعُونَ بِهِ سُبُلَ اللَّهِ مُخْلِصِينَ لَهُم مِّنَ الظُّلُمٰتِ ۗ ﴾^{٢٢} .

٢- كما وجدنا العقيدة قد خلصت المرء من اتباع الظن وذمت اتباع الهوى، وعابت على من يقبل الأمور دون تفكير، ويسلم بها دون أن تمر على العقل ﴿ كَذٰلِكَ جَاءَكَ نَبَاكُم مِّنَ اللَّهِ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمٰتِ إِلَى النُّورِ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ مُخْرِجَ الْغٰثِ وَالرُّجْحِ ۗ ﴾^{٦٦} .

٣- وفي سبيل إعمال العقل فقد طلبت إليه أن ينطلق في آفاق الكون والنفس معا دون قيد أو حد، وكررت دعوته للتفكير في كل ما يدركه العقل،

٤- أما فيما لا طائل للعقل فيه و ما لا يدخل ضمن حدوده فقد حرصت العقيدة على تزويده بما صافية نقيه من كل شوائب، وأرشدته إلى التفكير السليم فيها، وهي التي تدخل ضمن الغيبيات، و بينت أن سير المرء في غير هدي هذه العقيدة يفضي به إلى الخرافات والأوهام التي تلاحق الفكر وتحجب عنه الرؤية الصحيحة.

٥- وجدناها قد شجعت على طلب العلم وأرشدت إلى وسائله، وفتحت آفاق العقل للسير في كل مجال يدفع به إلى التزود بالمعرفة الصحيحة، ولا عجب فأول نص حملته هذه الرسالة كان (اقرأ) لتكون حربا على الجهل وعنوانا على احترام العقل وفتح المجال للرحب أمامه.

٦- ركز القرآن توجيهاته على التفكير لينمي فيه التربية الفكرية النابعة من هدي القرآن لأن التربية

²⁹ قطب، الظلال ج٥، ص ٥٦.

- توصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج، يمكن إجمالها في الآتي:
- ١- الأمن مطلب لكل نفس، فهي مجبولة على طلبه، وقد ضمن الإسلام للنفس أنواع الأمن في شتى مجالاتها، وبين أنه لا يمكن للنفس أن تصل إلى حالة الطمأنينة هذه إلا في ظل الإيمان.
 - ٢- الإنسان منذ أن عرف الحياة بدأ ينشد الأمن النفسي من خلال البحث في موجودات الحياة سعياً لتلبية متطلبات حياته، فهو في سبيل الحصول على الأمن النفسي يحب ويكره، ويكذب ويتعبد.
 - ٣- حينما يتحصل للمرء الأمن النفسي ينطلق بفكره نحو التقدم في شتى جوانب الحياة، والأمن النفسي يدفع بالمرء إلى عمق في التفكير.
 - ٤- الإنسان لا يمكن أن ينتج فكراً سليماً إلا إذا كان يتمتع بصحة جيدة.
 - ٥- وجدنا أن نصوص القرآن توازن في خطاباتها بين عقل الإنسان وعاطفته، فتارة تخاطب العقل، وتسوق له الأدلة وتقنعه بالحجة والبرهان، وأخرى تخاطب فيه المشاعر والأحاسيس وتبرز الجوانب الوجدانية وفي هذا وذاك تتمزج النصوص لتزود الروح بما تنشده من حقائق تحقق للروح توازنها.
 - ٦- أعطى الإسلام للإنسان كامل الحرية ولم يحجر على عقله في ميدان التفكير، بل دفع إلى آفاق الكون والنفس.
 - ٧- فكر الإنسان هو الذي يؤثر في سلوكه، والمهمة التي تنتظر المرين تكمن في توجيه الدراسات إلى كيفية ضبط الفكر والعناية به، فما السلوك إلا ترجمة لما تنطوي عليه النفس من أفكار. ويمثل الجانب الفكري في الإنسان السلطة التنفيذية وأي تغير يطرأ على الفكر يدخل حيز التنفيذ المرحلة التي تلي فتظهر على السلوك
 - ٨- تقييم العقيدة الإسلامية روح التوازن في التفكير في كل شيء يقع تحت إدراك من يؤمن بها من خلال منظومة التوازن التي أقام القرآن عليها توجيهاته. وأي فكر ينشأ عنها يتسم بروح الاتزان، وما كان خارجاً عن هذا النهج فلخلط طراً على فكر الإنسان.
 - ٩- حرص الإسلام على تحقيق الأمن للنفس من خلال التشريعات التي بينها للفرد، فما من حكم إلا ويسهم في تحقيق الأمن النفسي للمرء.
 - ١٠- مما يسهم في انعدام الأمن تضيق دائرة الحرية الفكرية، وتحجيم دور الفرد في

الأسرة والمجتمع، وعدم تأمين الحاجات الأساسية له.

توصيات

- ١- توصي الدراسة بضرورة أن يتصدر المربون دورهم الريادي في علاج الفئات التي يتسرب إليها الفكر المنحرف في المجتمع. وأن تتاح فرصة مماثلة لعلماء الشريعة في إقناع الفئات المنحرفة وتتولى دور بيان العقيدة الصحيحة والفكر السليم.
- ٢- كما توصي الدراسة بأن تهتم الدولة بتأمين حاجات الأفراد — فإن ذلك يسهم في إيجاد بيئة للأفكار المنحرفة.

د. عبد الله بن محمد الجيوسي

قسم أصول الدين - كلية الشريعة

جامعة اليرموك - إربد

الأردن

صاحب الموقع التالي للدراسات القرآنية

www.drjayousi.com

مراجع الدراسة

- ١ - ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر التونسي، التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور : (المتوفى : ١٣٩٣هـ) (الناشر : مؤسسة التاريخ العربي، بيروت - لبنان : ط١ ، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م .
- ٢ - ابن فارس أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، مقاييس اللغة - : - المحقق : عبد السلام محمد هارون- : اتحاد الكتاب العرب ط: ١٤٢٣ هـ = ٢٠٠٢م.
- ٣ - ابن القيم، شمس الدين محمد بن أبي بكر ، الفوائد، مكتبة الرياض الحديثة - الرياض.
- ٤ - أبو بكر الجصاص ، أحمد بن علي الرازي : أحكام القرآن، تح محمد الصادق قمحاوي، بيروت - دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٥هـ.
- ٥ - أية صالح، أمان سليمان حمدان: التصور اللغوي عند الإمام الفخر الرازي، رسالة ماجستير قدمت لكلية اللغة العربية ، الجامعة الأردنية، عام ١٩٩٥م.
- ٦ - الجيوسي، عبد الله: البناء النفسي للمسلم في ضوء السنة النبوية، بحث منشور في مجلة كلية الشريعة والدراسات الاسلامية- جامعة قطر، ع ٢٥ - ٢٠٠٨م.
- ٧ - الحسن، نبيل محمد رجا، مستوى ومصادر الضغط النفسي لدى طلبة السنة الأولى والثانية في كليات المجتمع الخاصة في عمان والزرقاء، ، رسالة ماجستير في كلية التربية في الجامعة الأردنية نوقشت عام ١٩٩٥ .
- ٨ - الحوامدة ، مصطفى محمود، مهمة القرآن في تنمية التفكير المنظومي لدى الإنسان، مجلة جامعة دمشق، مج ١٩، ع ٢ ، ٢٠٠٣م.
- ٩ - الخراشي، ناهد عبد العال: أثر القرآن الكريم في الأمن النفسي، (القاهرة: مطابع الأهرام، ط ١، ١٩٨٧م)،.
- ١٠ - خرما، نايف: أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، (الكويت: عالم المعرفة، ط ٢، ١٩٧٩م).
- ١١ - الدغامين، زياد، منهج القرآن الكريم في صياغة تفكير الإنسان، مجلة دراسات (علوم الشريعة والقانون) الجامعة الأردنية مج ٣٢ / ع ١، ٢٠٠٥م.
- ١٢ - الراغب الأصفهاني: أبو القاسم الحسين بن محمد بن محمد بن المفضل: المفردات في غريب القرآن/

- دار النشر / دار القلم — دمشق.
- ١٣- سعد، على مستويات الأمن النفسي لدى الشباب الجامعي بحث ميداني عبر حضاري مقارن، مجلة جامعة دمشق، م ١٥ / ١٤.
- ١٤- السلطان، فؤاد مصطفى الحمد، درجة تحقق حالة الإحساس بالأمن لدى أعضاء هيئة التدريس في الجامعات الاردنية الرسمية ، رسالة جامعية قدمت في الجامعة الأردنية لكلية التربية، ماجستير، عام ١٩٩٥م.
- ١٥- السهلي، عبد الله حميد حمدان، الأمن النفسي وعلاقته بالتحصيل لدى طلاب رعاية الأيتام بالرياض، رسالة جامعية قدمت لكلية الدراسات العليا / بأكاديمية الأمير نايف العربية للعلوم الأمنية.
- ١٦- الشويعر، محمد بن سعد، أثر الإيمان في إشاعة الاطمئنان، مجلة البحوث الاسلامية،
- ١٧- الطحانية، زياد لطفي سليمان: مستويات الاحتراق النفسي لدى معلمي التربية الرياضية في الاردن وعلاقتها ببعض المتغيرات، رسالة ماجستير أعدت في كلية التربية في الجامعة الاردنية ١٩٩٥م.
- ١٨- القرطي: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح، الجامع لأحكام القرآن، بيروت- دار إحياء التراث العربي .
- ١٩- قطب، سيد، في ظلال القرآن ، بيروت- دار الشروق.